مكانة العقل في الإسلام

خلقَ الله سبحانه وتعالى جميع مخلوقاته يعبدون ويسبحون ويُقدّسون بالفطرة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكذلك الملائكة يسبحون الله ويُطيعونه ولا يعصونه – أيضًا – بالفطرة، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أما الإنسان فقد كرمه الله تعالى بنعمة العقل، وهو أكرم خلق الله على الله؛ ولذا أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

وفي حديث طويل في وصف العرش جاء في آخره: «أن الملائكة قالت: يا ربنا، هل خلقت شيئًا أعظم من العرش، قال تعالى: نعم، العقل».

فبهذا العقل يأتي الإنسان إلى ربه طائعًا بإرادته لا بالفطرة كالملائكة وباقي المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعقل هو مناط التكليف وبه تقوم الحجة على الإنسان يوم القيامة، ومعنى التكليف أن الإنسان مخير بهذا العقل بين الخير والشر، فإن اختار طريق الشر كان في مكانته عند الله أقل من البهائم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومعنى العبودية لله تعالى هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى بهذا العقل على ذرية آدم وهم في صلبه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ

﴿الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهذه هي الفطرة السليمة التي يولد عليها الطفل، فيُغيّرها أبواه واتباع الهوى والشيطان، قال ﷺ: «**يولد الطفل على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه**» ونجد هذه الفطرة أيضًا عندما يتعرض الإنسان إلى مكروه، فلا يجد إلاّ الله ملجأً وملاذًا، فيتجه إليه بالتضرع والدعاء، حتى الكافر والمشرك.

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾**﴾

[الأنعام: ٤٠، ٤١].

فالعاقل هو الذي يطيع الله ولا يعصيه بقدر استطاعته، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾**﴾ [الزمر: ١٨]، أي أولوا العقول.

وقال ﷺ: «**أتمكم عقلاً أشدكم لله خشية، وأحسنكم**

فيما أمر ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً».

فبهذا العقل يتفكر الإنسان العاقل في آيات الله الكونية، فيعرف أن وراء هذا الكون العظيم خالق أعظم، قال تعالى: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾** ﴾ [الرعد: ٤].

فعندما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض أعطاه ربنا عز وجل سلاحين يتصدّى بهما لأعدى أعدائه وهما الشيطان واتباع الهوى.

فأما السلاح الأول: فهو الفطرة السليمة وهي عبادته وحده، وهو الميثاق الذي أخذه عليه وعلى ذريّته.

وأما السلاح الثاني: فهو العقل الذي يميز به بين الخير والشر، فإذا لم يستخدم الإنسان هذا العقل، واتبع هواه والشيطان أصبح غير عاقل، ويكون مثله كالأنعام، بل أضل، قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ**

وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ولذا يعترف الكافر يوم القيامة بأنه كان غير عاقل ويندم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠]، ومعنى كلمة يعقل في اللغة: يربط أو يضبط، ومنها اشتق كلمة العقل.

فالعقل هو الذي يعقل ويضبط تصرفات الإنسان، فيمنعه من ارتكاب أي حماقة تتنافى مع إنسانيته أو تصرف يضره، وهل هناك أضرّ على الإنسان من غضب ربه عليه، فيكون من أصحاب النار، فإذا عقل الإنسان تصرفاته كانت موافقة للشرع، وإذا خالف الشرع كان لاغيًا لعقله الذي كرّمه الله به وأصبح غير عاقل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

أليس من الخساسة وسوء الخُلُق أن نُقابل من أسدى إليك معروفًا بالجحود والنكران، فما بالك برب العالمين الذي

كرّمك على كثير من مخلوقاته، وخلقك ورزقك، وأعطاك نعمًا لا حصر لها ولا عدّ، وأعظمها نعمة العقل. فلله الحمد والمنّة على ما وهبنا من نعم كثيرة وكرمنا على سائر مخلوقاته.

والعقل هو الوسيلة لتعلم العلوم التي بها يسمو عقل الإنسان ويعرف كيف يعبد ربه حق عبادته ويُطيعه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فالعقل مثله كالبصر يُبصر به حقيقة الأمور؛ لذا سمي بالبصيرة.

وأما العلم فهو كالنور يرى به الأشياء، فلو تعلّم واتبع هواه كان كالأعمى الذي لا يُبصر، فلا يُفيده علمه، ومن كان عاقلاً يعبد ربه بغير علم كان كمن يمشي في الظلام لا يرى طريقه؛ فيضلّ الطريق.

فالعقل والعلم كلٌّ يُكمل الآخر، لا ينفصلان؛ لذا قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾، فجمع بين العلم والعقل، فالطفل يُولد على الفطرة السليمة، وهي

حب الله، وتوحيده فإذا كبر وتعلم هُديَ إلى الصراط المستقيم، وإذا لم يتعلم سار في الظلام يتخبّط ويرى الحق باطلاً، والباطل حق، ولا ينفعه عقله.

obeikandl.com

مكانة العلم والعلماء في الإسلام

مما سبق علمنا أن العلم هو الذي يهدي الإنسان إلى طريق الخير، والعقل هو الوسيلة للتعلم، سواء كان علم الدين أو علم الدنيا.

أما علم الدنيا، فالكل يعرف أهميته، وأنه طريق الحضارة والتقدم. أما علوم الدين من أهميتها:

[١] يعرف الإنسان بها ربه، فيعبده حق عبادته ويداوم على العبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج، ويُعظّم شعائر الله، قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

[٢] يعرف الحلال والحرام وأوامر ربنا ونواهيه، فيتقي الله في معاملاته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

[٣] يعرف أن الدنيا إلى زوال، وأن الآخرة هي خيرٌ وأبقى، فيزهد في الدنيا، ويكون عمله للآخرة،

ويزهد فيما عند الناس، فيحبه الله ويحبه الناس، قال ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

[٤] يكون عمله خالصًا لوجه الله، لا رياء فيه ولا سمعة، فيقبله الله تعالى منه، وينتفع به في الدنيا والآخرة.

[٥] يعرف سنن الله في كونه ويعرف أنباء الأمم السابقة، وكيف عاقبهم الله عندما كذّبوا الرسل فيعتبر، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ**﴾ [السجدة: ٢٦].

[٦] يعرف صفات المتقين وجزاؤهم عند الله، فيُسارع إلى الطاعة؛ ليكون منهم ويحظى بمعية الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾**﴾ [النحل: ١٢٨].

[٧] يؤمن بالقضاء والقدر، فلا يفرح في المسرات، ولا يسخط في الملمّات، ويكون مطمئن النفس راضٍ بما قسم الله له، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾**

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢]، وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، فإن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلاّ للمؤمن».

[٨] يحصل على سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن الحياة الطيبة معرفة علوم الدنيا التي يحصل بها على شرف الدنيا بدليل أن علماء المسلمين في عصر نهضة الأمة الإسلامية الذين أثروا الحياة من علوم الدنيا بدأوا حياتهم بتعلم علوم الدين، ثم فتح الله عليهم بعلوم الدنيا، أمثال ابن سينا والفارابي.

[٩] يستطيع بهذا العلم أن يفرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

[١٠] يستطيع أن يعرف وسوسة الشيطان فلا يتبعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال ﷺ: «عالمٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

[١١] إيمانه بالقضاء والقدر وأن رزقه وأجله مكتوب قبل أن يولد يجعله شجاعًا لا يهاب الموت، فيدافع دينه ووطنه بماله وروحه. ذو شخصية قوية يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم ولا ظلم ظالم.

وليحذر طالب العلم من ارتكاب المعاصي؛ فإن علم الدين نور لا يُعطيه الله لعاصي، ولكن يُعطيه لمن أحبه.

والله لا يحب الفاسقين ولا الظالمين، ولكن يحب المتقين والمحسنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين»، وقال ﷺ: «إن الله يُعطي الدنيا لمن أحب ومن لم يحبه، أما الدين فلا يعطيه إلاّ لمن أحبه الله».

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة هي العلم الذي يؤدي إلى العمل، فالعلم فضلٌ من الله ومنّة، يُعطيه لمن يعمل به، ولو كان آية واحدة، فهو خير ممن حفظ القرآن كله ولم يعمل به، فإذا عمل الإنسان بما علم زاده الله تعالى علمًا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال ﷺ: «من عمل بما علم علّمه الله علم ما لم يعلم».

فالعمل يثبت العلم في قلب الإنسان، ويظهر على جوارحه، ويُصبح قرآنًا يمشي به على الأرض، كما وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة أصبح نورًا يُضيء لمن حوله، ويهتدوا به في ظلمات الضلالة وأثناء الفتن.

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهو يدعو الناس بعلمه وعمله فيأخذ أجر كل من اهتدى، قال ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**.

وليكن طلب العلم خالصًا لوجه الله لا من أجل دنيا يُصيبها؛ حتى لا يكون أول من تُسعر به النار، روي من حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم: **«.. رجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليقال عالم، وقرأت ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار..»**.

ولا يكتم من العلم شيئًا إذا سُئل؛ فالعلم أمانة، وتعليم الناس زكاة العلم:

قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ**

اللاَّعِنُونَ (١٥٩) ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» [رواه ابن حبان].

ثواب تعليم الناس العلم:

وفي المقابل نجد أجر معلم الناس العلم كبيرًا، قال ﷺ: «يا أبا ذر، لأن تغدو تُعلّم الناس آية من كتاب الله خيرٌ لك من صلاة مائة ركعَة، ولئن تغدو تعلم الناس بابا من العلم عُمِلَ به أو لم يُعمل به خير لك من صلاة ألف ركعة»، وقال ﷺ: «مُعلّم الناس الخير يستغفر له كل من في الأرض حتى الحوت في البحر».

نخلص مما سبق أن معرفة الله عز وجل تأتي عن طريق:

[١] الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهي تظل مُلازمة لمن لم يرتكب المعاصي، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ [الروم: ٣٠].

[٢] الآيات الكونية التي تدل على وجود الله عز وجل،

وهذه يصل إليها العاقلون وأولوا الألباب بالتفكّر فيها وهم القائمون على طاعة الله وهم الراشدون؛ لذا قال تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فلقد عرف اللهَ بالتفكر في آياته الكونية. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [لقمان: ٣١]، أي صبّار عن معاصي الله، شكور لنعمه، فإذا كان كذلك تفكّر في آيات الله الكونية، وآمن بقدرة الله وعظمته.

[٣] علم الدين الذي جاء به الرسل ومن بعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وهي ايات الله المسطورة ومن بعدهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في كل زمان يُعلّمون الناس أمور دينهم.

وأذكر في هذا الصدد أنني دعوتُ ربي وأنا دون السابعة من عمري بدعاء خفي في نفسي، واستجاب لي ربي، فمن الذي علّمني أن أدعوه، وأنّ هناك ربًا سوف يستجيب لي إلاّ هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والميثاق الذي أخذه عليهم، وهم في صُلب آدم عليه السلام كما سبق أن أوضحنا.

تفاوت الناس في درجة تقبلهم للعلم

لما كان الناس يتفاوتون في قدر ما أُعطوا من عقل؛ لذا فهم أيضًا يتفاوتون في درجة تقبلهم للعلم والهداية، فمنهم من يهديه الله بالفطرة السليمة ويُلهمه رشده مثل الأنبياء، ومن سار على دربهم من حواريين وتابعين وأولياء الله الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين ويلهمه رشده».

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ومثل أبا ذر الغفاري الذي هداه الله للتوحيد بالفطرة قبل بعثة الرسول ﷺ بثلاث سنوات.

وهؤلاء هم أعلى الدرجات عند الله عز وجل، وهم الذين خصّهم الله بعلمه، وهم العارفون بالله، وهم الذين يُرشدون الناس ويُعلمونهم، ومن الناس من يحتاج إلى من

يُرشده ويساعده على الهداية من الرسل والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وهؤلاء منهم من يقبل العلم ويعمل ويُعلّم، ومنهم لا يقبل، ومنهم من يقبل ولكن لا يُعلِّم، قال ﷺ: «**مثل ما جئت به من العلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» [رواه البخاري].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. أي أعطينا القرآن لأمتك وهم المسلمون، فمنهم مقصر في العمل، ومنهم من يعمل به أغلب الأوقات، فيستفيد ولا يفيد فيعلم الناس، ومنهم من يعمل ويُعلِّم، وذلك هو الفضل الكبير وهم أفضل الدرجات.

سبب إعراض الناس عن الهدى

[١] حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة؛ لأنها هي العاجلة، قال تعالى: ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴿٢١﴾ ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

[٢] اتباع الهوى وحب الشهوات فيطبع الله على قلبه، فلا يقبل هدىً، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

[٣] الغفلة وهي نتيجة لاتباع الهوى فهي تصم الآذان وتعمي الأبصار والقلوب، وتصد الإنسان عن الهدى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

[٤] عدم ذكر الله والمداومة على فعل الخيرات والعبادات، وخاصة الصلاة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، فإذا أصبح الشيطان قرينًا للإنسان، صدّه عن الحق، ويرى الحق باطلاً والباطل حقًا، ويحسب أنه على الهدى، فلا يقبل هدى الله.

[٥] مصاحبة رفقاء السوء، وهؤلاء شياطين الإنس، وهم أشد خطراً على الإنسان من شياطين الجن، فشيطان الجن ينصرف بمجرد ذكر الله والاستعاذة بالله منه، وكيده كذلك ضعيفًا، كما أن الإنسان لا يراه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء. ٧٦]، أما شياطين الإنس يراهم ويزينوا للإنسان المنكر، بأفعالهم وأقوالهم فيقلدهم، قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، ومن رفقاء السوء في عصرنا الحديث المغنيين والممثلين والممثلات الذين يدخلون البيت بترحيب من

صاحبه، عندما يفتح لهم الباب عن طريق التليفزيون فيُجالسهم ويصاحبهم، ثم يُقلّدهم فيما يدعون إليه من مساوئ الأخلاق والعادات دون وعي أو إدارك، فيندم يوم القيامة أشد الندم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

[٦] عدم إنكار المنكر، بل استحسانه وذلك نتيجة لمرافقة أهل المنكرات، فيصبح المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، ويطبع الله على قلبه، قال ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلبٌ أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا إلاّ ما أُشرب هواه، وقلب أبيض لا تضره**

فتنة مادامت السموات والأرض» [رواه مسلم].

[٧] كثرة المعاصي والإصرار عليها مما يؤدي إلى الطبع على القلب، وخاصة من تعدى الأربعين، قال ﷺ: «إذا أذنب العبد ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن أصرّ زادت النكتة السوداء إلى أن يتكون الران، واقرأوا إن شئتم: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] (أخرجه الترمذي ٣٣٣٤)، فإذا طُبع على قلبه نتيجة لتكون الران، فلا يقبل هدىً أبدًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

[٨] تقليد الناس بعضهم لبعض خاصة الآباء والأمهات، والصغير للكبير، والفقير للغني، حتى تُصبح عادة ألفوها لا يستطيعون تركها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ

﴿ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ويوم القيامة يتبرأون منهم، فيندموا على اتباعهم عندما يروا العذاب، قا تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

[٩] تضارب المصالح، فكل واحد يُريد مصلحته على حساب الآخرين أو على حساب الدين.

[١٠] الفهم الخاطئ للدين فيطمعون في عفو الله، وهم مصرون على المعاصي، وهو غرور بالله، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

لماذا يُرسل ربنا الرسل للناس وهو قادر على هدايتهم:

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان أن يعينه على طاعته بالملك الموكّل به، الملك الذي يكتب الحسنات، فإن للملك

لمة وللشيطان لمة، قال ﷺ: «**إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق**» [صحيح بن حبان ٢٧٨].

وأيضًا من رحمة الله عز وجل بعباده أن يُرسل إليهم الرسل كل حقبة من الزمان؛ ليهدوهم ويعينوهم على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهؤلاء الرسل يكونون منهم عُرف عنهم الصلاح وحسن الخلق، يتكلمون بلسانهم فيكونون مقربين إلى قلوبهم.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾**﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وهؤلاء الرسل يأتون بالرسالات، ويُعلّمون الناس ما أُنزل

إليهم من كتب وحكم يذكّرونهم بالله وقدرته على الخلق ونعمائه التي لا تُعد ولا تُحصى، ويعظونهم بأخبار من سبقهم من الأمم، وكيف أخذهم الله بالعذاب عندما أعرضوا عن طاعة الله، مبشّرين ومنذرين، فالعاقل منهم يقبل الهداية ويتبع الرسل ويؤمن بالله ويُطيعه.

أما من اعتاد الكفر والضلالة لا يقبل الهداية؛ لأنها لا توافق أهواءهم وما اعتادوا عليه، فيكذبوا الرسل ويتهمونهم بالجنون والسحر، رغم تيقّنهم من صدقهم؛ فهم لا يكذبون عليهم، فكيف يكذبون على الله، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وعند ذلك تقوم عليهم الحجة في الدنيا، فيأخذهم ربهم بعذاب من عنده؛ لعلّهم يرجعون عمّا هم فيه من كفر، و هذا أيضًا من رحمة الله؛ لأن عذاب الدنيا أهون بكثير من عذاب الآخرة، وأيضًا ليكونوا عبرة لغيرهم فتأتيهم الزلازل والبراكين والأمراض وما إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي

النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم: ٤١]، فيعتبر من يعتبر في الدنيا ويتوب الله على من تاب وآمن، ويبقى آخرين لا يعتبرون، ويُصرون على ما هم عليه من كفر، ويقولون هذه ظواهر طبيعية حدثت لآبائنا من قبل، أو أنها غضب الطبيعة تحدث بين الحين والآخر على مرّ الزمان.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩٥) ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥]، فهؤلاء وأمثالهم يملي لهم ربنا عز وجل في الدنيا حتى إذا أخذهم لم يُفلتهم ويكون عذابهم في الآخرة عظيم.

قال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته» [صحيح مسلم ١٩٩٧] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فهذا عدل الله يُرسل الرسل إلى الناس، فإن كفر معظمهم نزل عليهم العذاب من الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾ [الأنعام: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وهذا عذاب الدنيا، وفي الآخرة عذاب أشدّ، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣)﴾ [القلم: ٣٣].

وأما من آمن بالرسل ينجيهم ربهم من العذاب، ويكون في الآخر من أهل الجنة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: ١٠٣].

فهذه مهمة الرسل مبشرين لمن آمن بهم ومنذرين لمن كفر، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وهذه سُنَّة الله في خلقه، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً،

ولئلا يكون لهم على الله حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

فيوم القيامة عند الحساب يسألهم ربهم عز وجل؛ لكي يقرّوا بذنبهم ويشهدوا على أنفسهم، قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠، ١٣١].

ويوضع الكتاب مسطر فيه كل كبيرة وصغيرة وهم مشفقون مما فيه، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾

[الكهف: ٤٩]، ويؤتى بالرسل والشهداء؛ ليشهد عليهم، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، وتساق الملائكة وهم يساقون إلى جهنّم زمراً سؤالاً تقريريًا أيضًا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

فلا تكن لهم حجة ويُقروا بكفرهم، وإن أنكروا يختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أعضاؤهم بالكفر، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

حتى جلودهم تشهد عليهم أيضًا، ويُنطقها الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فُصّلت: ٢١]، فهذه رحمة الله بعباده أن يُرسل إليهم الرسل، وهذا عدلُ الله في عقابه بعد أن تقوم عليهم الحجة

بشهادة الرسل وشهادتهم على أنفسهم.

ويأتي رسولنا الكريم شهيداً على أمته أنه بلّغهم الرسالة، وتكون أمته شهداء على الناس بأنهم جاءتهم رسلهم بالبيّنات، قال تعالى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٨٧]، ويأتي من كل أمة برسولهم ليشهد عليهم ويأتي رسولنا الكريم، ويشهد عليهم جميعًا، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

وهكذا نجد أن مهمة الرسول هي البلاغ بأوامر الله ونواهيه، ثم يكون لهم نذيراً بعذاب الله لمن عصاه، مبشراً لمن أطاعه بالنعيم في الدنيا والآخرة، ثم شهيداً عليهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].